تقرير

خليل حرب
Khalilharb66@gmail.com

بينها لبنان والرسوم الجمركيّة وإيران وأوكرانيا ترامب يختبر تكتيك غطرسة القوّة

عنجهية الرئيس دونالد ترامب وتسلطه في تعامله مع الدول والحكومات والزعماء، ومع ازمات العالم، بما في ذلك رسومه الجمركية وحروبه التجارية، والتفاوض مع ايران، والحروب بما فيها لبنان واوكرانيا، لا تعكس فقط جانبا من شخصيته المثيرة للجدل، وانما قناعته وادارته الجمهورية بمنطق القوة اولا، حتى لو كان الهدف المنشود، هو سلام

بين جولتي التفاوض مع ايران في 12 و19 نيسان الماضي، اعلنت وزارة الخارجية الاميركية عن فرض عقوبات جديدة على ايران، قائلة ان ترامب ملتزم خفض صادرات النفط الايرانية الى الصفر، وفي اطار تطبيق سياسة "الضغط القصوى" على ايران.

قد يتساءل البعض عما اذا كان من الحكمة الضغط على الخصم المفاوض في لحظة محاولة صناعة التفاهم، لكن يبدو ان هذا التكتيك هو المفضل عند ترامب وادارته في التعامل مع الملفات والاشخاص، بينما يخشى كثيرون من ان هذه العقلية تعكس تماديا من الدولة العظمى في مقاربة الازمات المختلفة، وجنوحا اضافيا نحو غطرسة القوة، على غرار ما اعلنه مسؤولون في البنتاغون مؤخرا عن خطط لالغاء برامج تركز على منع سقوط مدنيين في العمليات القتالية الاميركية، وتقليص حجم مكتب الحد من الاضرار المدنية ومركز التمييز لحماية المدنيين، وهو يعني في ما يعنيه، التخلي عن بعض المعايير الاخلاقية في القتال، وتغليب سياسة القتل العشوائي بلا رادع.

> **منطق القوة لانتزاع "سلام"**
>
> **اهانة زيلينسكي واتفاق المعادن**

عندما استقبل ترامب نظيره الاوكراني فولوديمير زيلينسكي في البيت الابيض في نهاية شباط الماضي، وتعمد هو ونائبه جي دي فانس، اهانته علانية مما فجر ملاسنة حادة امام وسائل الاعلام، كان الهدف الاساسي للرئيس الاميركي تحقيق تعهده الانتخابي بانهاء الحرب الروسية - الاوكرانية سريعا ما ان يعود الى موقع الرئاسة. وقد حاول فرض تسوية سياسية عليه للصلح مع موسكو، الا ان الاهم بالنسبة الى ترامب كان ابرام اتفاقية المعادن الثمينة التي تعني مبادلة الموارد الطبيعية النادرة لاوكرانيا، بضمانات مالية وسياسية من واشنطن.

صحيح ان هذه الاتفاقية لم توقع حتى الان وقد نشرت بنودها فعلا، الا ان استخدام ورقة القوة الاميركية هذه لم تكن عبثية، وقد استغل ترامب الظروف القائمة بالكامل لفرض موقفه التفاوضي القوي، من التذكير بعجز القوات الاوكرانية عن تحقيق النصر بعد 3 سنوات من الحرب، الى التذكير بأن اوكرانيا حصلت على نحو 530 مليار دولار من الاموال الاميركية والتي لا يعرف زيلينسكي مصير نحو نصفها، الى التاكيد مرارا على ان في امكانه التعامل مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بندية وان الزعيم الروسي يحترمه.

في اطار تطبيق سياسة القوة الاستفزازية، تابع ترامب انتقاداته لاحقا لزيلينسكي. وقال في منتصف نيسان، متوجها اليه بالقول "اسمع، عندما تبدأ حربا، عليك ان تعرف انه يمكنك الفوز بها، اليس كذلك؟ لا يجب ان تبدأ حربا ضد شخص اكبر منك بـ20 مرة، ثم تامل ان يعطيك الناس بعض الصواريخ". وكتب على منصته للتواصل الاجتماعي "تروث سوشيال"، "لقد ارتكب الرئيس زيلينسكي وجو بايدن عملا فظيعا للغاية بالسماح ببدء هذه المهزلة. كانت هناك طرق عديدة لمنع نشوب الحرب".

عندما زارت نائبة المبعوث الاميركي للشرق الاوسط مورغان اورتاغوس بيروت في بداية نيسان، قالت في مقابلة تلفزيونية ان "السلطة والشعب في لبنان عليهم الاختيار، فاما التعاون معنا لنزع سلاح حزب الله وتطبيق وقف الاعمال العدائية وانهاء الفساد، واما خيار التباطؤ من الحكومة والقادة، وهنا لا يتوقعوا شراكة معنا". اما عندما زارت بيروت في شباط، فقد قالت علانية انها ممتنة "لحليفتنا اسرائيل على هزيمة حزب الله"، داعية الى ضمان ان "حزب الله ليس جزءا من الحكومة ويظل منزوع السلاح ومهزوما عسكريا".

هذه عصا وجزرة، ومن البديهي القول ان هذه التصريحات ليست شخصية الطابع -بغض النظر عن حقيقة ارائها المنحازة الى اسرائيل - وانما هي تعبير عن التكتيك الترامبي بالتفاوض بالقوة لفرض التسوية التي تشتهيها واشنطن. وقد عبرت عن ذلك في الكلمات الاولى من تصريحها عندما قالت "اسمي مورغان اورتاغوس، وانا نائبة المبعوث الرئاسي الخاص الى الشرق الاوسط. اعمل مع ستيف ويتكوف، وبالطبع مع الرئيس ترامب، واحمل اليكم تحيات الرئيس ترامب، وستيف ويتكوف، وفريقنا باكمله وادارتنا الجديدة".

تدير ادارة ترامب تسوية تغلب المصلحة الاسرائيلية في 4 نقاط مهمة: القبول ببقاء 5 مواقع للاحتلال في الجنوب؛ اقرار حق اسرائيل في "الدفاع" عن نفسها من اي خطر من الجهة اللبنانية (اي القبول بانتهاكاتها اليومية)؛ الضغط لتاجيل اي جهود لاعادة اعمار ما دمرته اسرائيل خلال الحرب؛ دفع لبنان للانتقال الان الى مرحلة التفاوض عبر لجان مباشرة مع اسرائيل.

لبنان، وفق هذا المنظور ليس حالة منعزلة عن السياسة الاقليمية الاوسع لترامب. في مقابلة لاورتاغوس بعد مغادرتها لبنان، تحدثت عن المفاوضات مع ايران فيما يعكس التكتيك الاميركي نفسه، قائلة ان واشنطن تريد "ايجاد ارضية مشتركة لتحقيق ما يريده الرئيس (ترامب)، وهو ايجاد حل سلمي"، لكنها تستدرك لتقول "كان العام والنصف عام الماضيان مدمرين للجمهورية الايرانية. لقد انكشف امرهم فعلا. لقد رأيتم الميليشيات تتساقط واحدة تلو الاخرى".

هذا هو المزج بين التعبير عن الرغبة ◄

تقييم اسرائيلي لترامب

ذكرت صحيفة "يديعوت احرونوت" الاسرائيلية ان ترامب يظهر لا منطقية وتقلبا مستمرا، الى جانب ثقة مفرطة بالنفس وجهل مذهل بالحقائق، كل ذلك في قرارات على اعلى مستوى من التأثير العالمي.

يكتفي باطلاق تهديدات رنانة لا تخيف حتى اصغر عنصر في طهران. التهديدات الجوفاء هذه لم تؤثر كذلك على مواقف حماس. والحقيقة ان ترامب ومبعوثيه كان لهم تأثير ضئيل للغاية على الصفقة الاخيرة لتحرير الاسرى، 98% من تفاصيل الصفقة انجزت واغلقت خلال ولاية جو بايدن، بفضل جهود الوساطة التي قادها وزير الخارجية آنذاك انتوني بلينكن. في هذه الاثناء، اشتدت الحرب في غزة وازدادت ضراوة في اوكرانيا خلال الشهور الثلاثة الاولى من ولايته. يقف ترامب الان على رأس القوة العظمى التي يتوقف عليها مستقبل الحضارة، رئيس غير متوقع، متقلب، انانى، متذبذب باستمرار، جاهل بالمعرفة والمعلومات، لكنه مفرط الثقة بنفسه وعظمته، انه غير عقلاني تماما، وهذه ليست مسالة عابرة، بل امر بالغ الخطورة.

◄ بمصالحة او حلول، وفي الوقت نفسه، التذكير بقوة الموقف الاميركي، حيث تقول المبعوثة الاميركية ايضا "ادارتنا تركز بقوة على النتائج والمنجزات، ولدينا العديد من رجال الاعمال في ادارتنا، ونحن نفضل عقد الصفقات، ونعرف كيف ننجزها".

فيما ينعكس مشهد اوسع من لبنان، قالت اورتاغوس "شهدنا خلال السنوات الـ4 الماضية الحرب والفوضى والاضطرابات في كل انحاء العالم، وخصوصا في الشرق الأوسط. لهذا، عندما دخلنا الى ادارة ترامب، كنا مستعجلين، وعلينا ان نكون مستعجلين، فلم نشهد سوى الحرب والدمار والضعف على مدى السنوات الـ4 الماضية، لدينا الكثير كي نصححه".

هذه الرؤية الشمولية للمنطقة، تظهر ايضا في قولها "املي هو ان يكون لدينا، بحلول نهاية هذه السنوات الاربع من العمل مع الرئيس ترامب، في جميع انحاء المنطقة، وفي جميع انحاء العالم الاسلامي، المزيد من الشعوب والدول المستعدة للانضمام الى اتفاقيات ابراهيم، والمستعدة لاتخاذ موقف من اجل السلام". لكن الاكثر خطورة هو قولها "لقد انتهت ايام حل المشاكل في الشرق الاوسط، عندما يجتمع كل العرب ولا تجلس اسرائيل على طاولة المفاوضات. سواء كان الامر يتعلق بغزة او لبنان او سوريا، مهما كان الوضع، يجب اشراك اسرائيل في هذه المناقشات وفي هذه القرارات".

هذا في الجانب الاقليمي. اما على المستوى العالمي، فما من تطور يعكس نزعة تسلط القوة وفرض شعار "اميركا اولا" على نطاق العالم، اكثر من اعلان ترامب في بداية نيسان حربه التجارية العالمية، بفرض رسوم جمركية على 180 دولة، بما في ذلك اكثر الدول التي توصف بانها حليفة للولايات المتحدة، وايضا حتى الدول التي تعتبر من بين الاكثر فقرا.

ولعلها كما قال خبراء "احد اسوأ الخيارات الاقتصادية في التاريخ الاميركي"، على الرغم من ان ترامب ظل يردد بعد قراره هذا ان عشرات الدول اتصلت به من اجل التفاوض وايجاد تسوية، مشيرا الى انه سينجز مع الصين، ثاني اكبر اقتصاد في العالم، والمستهدف الاكبر في الرسوم الجمركية، "اتفاقا.. واعتقد اننا سنعقد اتفاقا جيدا جدا مع الصين"، وذلك في معرض تأكيده على نجاح سياسته المتشددة في اخضاع المنافسين والخصوم حيث اتبع مع بكين مثلا اسلوب الشد والجذب، فخفف موقتا الرسوم المرتفعة التي كان اعلن عنها لكنه ابقى على الرسوم الجديدة على الواردات من الصين، والتي تبلغ نسبتها حاليا في الاجمال 145%.

مهما كانت نيات ترامب او توقعاته من هذه السياسة الحمائية على المستوى العالمي، باسم حماية الاقتصاد الاميركي وتعزيز صادرات بلاده والحد من العجز في الميزان التجاري للولايات المتحدة مع العديد من دول العالم، الا ان ما فعله الرئيس الاميركي في تكتيكه المتشدد هذا، انه قلب العلاقات الدولية رأسا على عقب، وادخل صناع القرار في غالبية الدول في تحد مواجهة الفوضى الشاملة

ما لم يرضخوا لمطالبه. ولعل من التأثيرات المباشرة لسياسة ترامب هذه، اتساع الهوة بين ضفتي الاطلسي، حيث هناك على الجهة المقابلة، اوروبا التي توصف منذ اكثر من قرن بانها الحليف الاوثق للولايات المتحدة، وخصوصا منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية.

هل هناك حاجة الى التذكير بتكتيك التحرش السياسي والاقتصادي الذي مارسه منذ ايامه الاولى في البيت الابيض، ضد الجارة كندا، وضد الدانمارك بحديثه عن سعيه لضم غرينلاند، وبنما التي هددها باعادة السيطرة على قناتها البحرية العالمية، والجارة الجنوبية المكسيك التي انتزع منها اسم "خليج المكسيك" وبدل اسمه الى "الخليج الاميركي"، وذلك وصولا الى اقتحامه بعنجهية ملف القضية الفلسطينية المعقد والشائك، واعلان رغبته في "الاستحواذ" على غزة باسم تحويلها الى "ريفييرا الشرق الاوسط"، وابعاد اهلها عنها الى دول اخرى؟

هذا كله في الـ100 يوم الاولى من ولايته الرئاسية. وقد حار السياسيون والمحللون والخبراء في فهم اسلوب ترامب وما اذا كان يعكس افلاسا سياسيا وفكريا، ام انه بدوافع يائسة بالنظر الى تردي اقتصاد

اورتاغوس في بيروت: عصا وجزرة

شد وجذب مع الصين

اميركا ومكانتها عالميا، ام انه يمثل جنونا وخداعا او تاكيدا على "امبريالية" الولايات المتحدة. فقد ذهبت صحيفة "واشنطن بوست" الى محاولة قراءة سلوك ترامب، وصنفته ما بين تكتيك تشتيت الانتباه بطرح افكار وسياسات جامحة تربك معارضيه وخصومه واشعارهم بالعجز عن مجاراته، او انه يتبع خدعا تفاوضية لاجبار الاخرين على ايجاد حلول، او يأتي هو بحلوله المزعجة لهم، ام انه يطبق فعليا نظرية "الرجل المجنون" التي تسعى الى جعل الدول الاخرى تعتقد انك شخص غير متوقع تماما وقادر على فعل اي شيء، مما يدفعهم الى التصرف معك بحذر، وهي نظرية تحدث هو نفسه حولها قبيل توليه الرئاسة تماما عندما اشار الى ان الصين ستتعاون معه وتحترمه لأنها تدرك انه "رجل مجنون". الاحتمال الرابع الذي اشارت اليه "واشنطن بوست" ان ترامب يعبر عن نزعة امبريالية.

في حديث ترامب المتكرر حول ضم كندا وغرينلاند وغزة وحتى بموقف التفاوض من ايران التي خاطب مرشدها الاعلى السيد علي خامنئي في رسالته الاولى له في الاسبوع الاول من اذار ماضي، قائلا له: "جناب اية الله خامنئي، مع الاحترام لمكانة قيادتكم ولشعب ايران، اكتب لكم هذه الرسالة بهدف فتح افاق جديدة لعلاقاتنا، بعيدا من سنوات النزاع وسوء التفاهم والمواجهات غير الضرورية التي شهدناها في العقود الماضية. لقد حان الوقت لنترك وراءنا العداء ونفتح صفحة جديدة من التعاون والاحترام المتبادل. اليوم ايضا، هناك فرصة تاريخية امامنا". ورغم هذه اللهجة الديبلوماسية الهادئة، الا انه اتبعها بمصطلحات تعكس تكتيكه بالتلويح بالقوة في الوقت نفسه، حيث استدرك في الرسالة قائلا: "لكنني احذركم، اذا رفضتم هذه اليد الممدودة، واذا اختار النظام الايراني مسار التصعيد، والدعم المستمر للتنظيمات الارهابية، والمغامرات العسكرية، فان الرد سيكون حاسما وسريعا".

صحيح ان هناك مؤشرات على تحقيق انفراج في التفاوض الاميركي مع الايرانيين، لكن من المهم التذكير بأن مسارات التفاوض تجري بالتوازي مع تهديدات تارة يطلقها ترامب شخصيا (وان بلهجة اقل حدة) وتارة بعض المسؤولين في ادارته ممن يعارضون "التساهل" في التعامل مع طهران، يدفعهم الى ذلك التململ الاسرائيلي الواضح من مفاوضات مسقط التي تعمد ترامب الاعلان عنها في حضور رئيس حكومة اسرائيل نتنياهو في البيت الابيض، في مشهد عكس هو الاخر التكتيك الترامبي بأنه يطبق سياسة صلبة وقوية حتى بالتعامل مع اقرب حلفائه.